الأمن اللّسانيّ
مُقاربَة سوسيولِسانيَّة في واقعِ العربيَّة

محمَّد هتهوت

جامعَة البُليدة 2

المُلخَّص:

هَذه نَظرةٌ في واقِع العَربيَّة المُعاصرَة، حاولتُ مُلامستَه في هَذه السُّطور، مُعتمدًا الرُّؤيةَ السوسيولِسانيَّة في تَناوُل وَضعيَّة الثُّنائية اللُّغويَّة والازدِواجِية اللُّغويَّة وتفاوُت الاستِخدامات اللُّغويَّة داخِل المُجتَمع، وما تُخفيهِ الاصطِراعات المُحتدَمة بَين العَربيَّة واللُّغات الأَجنبيَّة الحَديثَة المُتواجِدة مَعها والَّتي ساقَتها ظُروفٌ تاريخيَّة قَسريَّة مُعيَّنة، ما انفَكت اليَوم تُثير شُكوكًا مُحدِقةً بِهذه اللُّغة الشَّريفَة الظَّريفة. فَالانحِسار الَّذي تَشهدُه العَربيَّة في مَواقِف وأماكِن مِن بيئتِها اللِّسانيَّة أَمامَ لُغاتٍ ذواتِ سَطوةٍ دَوليَّة والحالاتِ غَير المُتكافِئَة فِيما بَينها، صارَت مَحلَّ خطرٍ يُهدِّد الأَمنَ اللِّسانِيّ لِلعربيَّة في جَميع نَواحيها:التَّعليميَّة، العِلميَّة، العَمليَّة والتَّواصليَّة في شَكلِها العامّ داخِل المُجتمَع.

الكَلمات المَفاتيح:

الأَمن اللِّسانِيّ- المُقاربَة السوسيولِسانيَّة- اللُّغة العربيَّة- الثُّنائيَّة اللُّغويَّة- الازدِواجيَّة اللُّغويَّة- اللُّغات الأَجنبيَّة- السِّياسَة اللِّسانيَّة.

Résumé :

Ce regard sur la réalité de la langue arabe contemporaine, que j'essaye d'aborder dans ces quelques lignes, est basé sur la vision sociolinguistique, de bilinguisme et de diglossie, et de multiples usages linguistiques au sein de la communauté, dont il cache beaucoup de querelles, qui fait rage entre la langue arabe et les langues étrangères coexistant avec elle, à cause des circonstances historiques coercitives; ne cesse aujourd'hui de mettre en doute la langue arabe. la régression que l'arabe connait dans son environnement devant une puissance linguistique internationale inégale, est devenue une menace pour la sécurité de la langue arabe dans tous ses aspects: éducatif, scientifique, pratique et communicatif, dans la société en général.

Mots clés :
la sécurité linguistique - l'approche sociolinguistique - la langue arabe - le bilinguisme - la diglossie - les langues étrangères - la politique linguistique.

تَوطِئة:

مِمَّالا شكَّ فِيه، إنَّ الحَديثَ عَن أَمنِ اللُّغة الوَطنيَّة-الرَّسميَّة، في الدُّول على اختِلافِ أَنظمتِها و تَعدُّد استِخداماتِها اللُّغويَّة، هو أمرٌ لَه صلةٌ بِأمنِ الأَفرادِ و الجَماعات اللُّغويَّة، فَالصِّراعات الطَّبقيَّة و التَّفاوتَ فِيما بَينها و التَّمزُقات في الهُويَّة وحالاتِ الاضطِّراب الَّتي تُعانيها دُولٌ شتَى، هِي مِن ضِمنِ مُخلفات أَخطارٍ

لُغويَّة، يَسوءُ التَّحكمُ فِيها؛ لِذا تَسعى السِّياسات اللِّسانيَّة، لِسنِّ القَوانين و التَّشريعات لِتنظيمِ و حِمايةِ لُغتِها الوطنيَّة والرَّسميَّة، ضَمانًا لِوحدةِ هُويَّتِها.

إنَّ مُعاينةَ وَاقع اللُّغة في وَسطِها الاجتِماعيّ بِتأدِياتِه التَّواصليَّة، مَسألَةٌ مِن الأَهمِّيةِ بِمكان، ذَلك إنَّا نَقفُ على أَسبابِ مُيولِ الجَماعة اللُّغويَّة لاستِخدامِ نمطٍ لُغويٍّ مُعيَّنٍ، و في سِياقاتٍ ومَواقفَ مُعيَّنة، و البَاعِث على ذَلك و ما قَد يَنجرُّ عَليه بِإزاءِ اللُّغة الوَطنيَّة و الرَّسميَّة.

1- واقِع اللُّغة السوسيولِسانِيّ:

اللُّغة ظاهِرةٌ اجتِماعيَّة، فَقد أكَّد هَذه الطَّبيعةَ اللَّصيقَةَ بِها، غَير قَليلٍ مِن عُلماءِ اللُّغة وجَهابِذتُها، عَربٌ و غَيرُ عَرب، فابن جني(ت392هـ)، يَذكر في الخصائص بِأنَّ اللُّغة:" أَصواتٌ يُعبِّر بِها كلُّ قومٍ عَن أَغراضِهم."[1]، و يَنقلُ لَنا السيوطي(ت911هـ)، قَوله في بَيانِ الحِكمةِ مِن وَضعِ اللُّغة، قائِلاً:" وذَلك أنَّ الإنسانَ لَمَّا لَم يَكن مُكتفِيًا بِنفسِه في مَعاشِه و مُقيماتِ مَعاشِه، لَم يَكن لَه بدٌّ مِن أَن يَسترفِد المُعاونَة مِن غَيرِه؛ ولِهذا اتَّخذَ النَّاسُ المُدن لِيجتمِعوا ويَتعاوَنوا."[2]

تَوالَت بَعد ذَلك الحِقب على عُلماءِ الغرب، لِيظهَر الكِتاب التَّأسيسيّ لِلسانيَّات الحَديثَة، فَيشيرَ مُؤلِّفُه،"سوسير" (F de. SAUSSURE) إلى أنَّ:"اللُّغة مُؤسسةٌ اجتِماعيَّة"[3]، بانِيًا نَظريتَه اللِّسانِيَّة "على أَساس نَظريَّة دوركايم الاجتِماعيَّة"[4]، و كانَ مِمَّن حَذا حَذوهُم، اللُّغويّ "فندريس"، إذ يوردُ في مُؤلَّفه، "اللغة"، قائلاً:" في أَحضانِ المُجتمَع تَكوَّنت اللُّغة فَقد وُجدَت اللُّغة يَوم أَحسَّ النَّاس بِالحاجةِ إلى التَّفاهُم فِيما بَينهُم."[5]

على أَساسِ هَذه النَّظرَة إلى اللُّغة، تَمخَّضت البُحوث والدِّراسات اللِّسانيَّة والاجتِماعيَّة عَن نَشأةِ عِلمَين جَليلَين، وهُما ثَمرةُ اتِّصال العُلوم اللِّسانيَّة بِالعلوم الاجتِماعيَّة، وقَد" أَفادَ الباحِثون في العُلومِ الاجتِماعيَّة مِن نَتائِج البَحث اللُّغويّ مِن عدَّة جوانِب مِنها أنَّ اللُّغة أهمُّ مَظاهِر السُلوكِ الاجتِماعيّ و أَوضحُ سِمات

الانتِماءِ الاجتِماعِيّ لِلفرد"[6]، وأفادَ دارِسو اللُّغة مِن نَتائِج العُلوم الاجتِماعيَّة " فَدراسَةُ الألفاظِ و دِلالاتُها على نَحوٍ دَقيقٍ لا يتمُّ إلاَّ في إطارِها الاجتِماعيّ الحَضاريّ، والتَّغيير اللُّغويّ لا يُفسَّر كاملاً إلاَّ في ضَوءِ الظُّروفِ الحضاريَّة والاجتِماعيَّة "[7]، عَبر مُقاربةِ مَجموعةٍ مِن العَناصِر الاجتِماعيَّة، منها:

- الطَّبقات الاجتِماعيَّة (les classes sociales) و الفَوارِق بَينها.
- النَّوع أو الجِنس (le sexe) (الذُّكور/ الإناث).
- الإثنِية (l'éthnie) و الانحِدار العِرقيّ.
- المُستوى التَّعليميّ و الثَّقافيّ (le niveau culturel) ومَدى التَّفاوت بَين الفُصحى والتَّنوعات اللُّغويَّة.
- الانتِماء الجُغرافيّ لِلأفراد (l'appartenance géographique) ومَدى عُزلة المَناطِق بَعضُها عَن بَعض.

فَجميع هَذه العوامِل، يَظهر أَثرُها في البِنى التَّركيبيَّة لِلغة، وإنَّ أيَّ تَغييرٍ و حِراكٍ يَلحقُ اللُّغة، مردُّه التَّغيير وحِراك البِنى الاجتِماعيَّة، " وإنَّ الأساسَ الاجتِماعيّ في دِراسةِ "اللُّغة"، و في دِراسةِ السُّلوك اللُّغويّ لِلشَّخص أَساسٌ على جانِبٍ كبيرٍ مِن الأهميَّة، فاللُّغة الإنسانية في نَشأتِها – سواءٌ أكانَت أُحاديَّة المَنشأ أَم ثُنائيَّتِه أَم مُتعدِّدَته، وأيًّا كانَت الطَّريقة الَّتي نشأت بِها- مِن صُنعِ المُجتمَع، وفي المُجتمع يَكون استِعمال اللُّغة، وتعلُّمها، وتطوُّرها، كَما أنَّ تأثيرَها كائِنٌ فِيه "[8]؛ مِن ثَمَّةَ كانَ مَدارُ اهتِمامِ الباحِثين في السوسيولِسانيَّات – وهُو أحدُ فُروعِ اللِّسانيَّات التَّطبيقيَّة– دَرسُ " مُشكِلات اللَّهجات الجُغرافيَّة و اللَّهجات الاجتِماعيَّة و الازدِواج اللُّغويّ "[9] . ولَشدَّ ما زادَت هَذه الاهتِمامات في الفَترات الحَديثة بِأمورِ الثُّنائية و التَّعدديَّة اللُّغويَّة و ما تُخلِّفه الصِّراعات اللُّغويَّة بَين اللُّغة القَوميَّة والرَّسميَّة[10] واللُّغات المُتواجدَة مَعها داخل الحُدود الجُغرافيَّة و السِّياسيَّة و الَّتي شَكَّلتها السِّياقات التاريخيَّة، إمَّا " بِذوَبان الجَماعات اللُّغويَّة، الثَّقافيَّة و أَحيانًا الإثنِية في أُمَّةٍ واحدةٍ "[11] وهَذا ما يَثبُت على الأُممِ الأُوروبيَّة، " فَالفرنسيَّة والفَلمنكيَّة

لُغتان رَسميَّتان في بَلجيكا...، والأَلمانيَّة والفرنسيَّة والايطاليَّة هي اللُّغات الرَّسميَّة في سويسرا."[12] وإمَّا ضِمن السِّياقات التَّاريخيَّة الاحتِلاليَّة، وهذا ثابتٌ على العَربيَّة في مَشرِقِها ومَغرِبِها ودُولٍ عَديدةٍ مِن إفريقيا وآسيا وأَمريكا اللاَّتينية.

إنَّ الحَديث عَن صِراعِ اللُّغات في المُجتمَعات هو أَشبهُ تَمامًا بِاصطِراعِ الأَفرادِ والجَماعات، فَتختلفُ نَتائجُ هذا الصِّراع بِاختِلاف الظُّروف والأَحوال، فَتارةً تَتساوَى وهو شَأنُ "الأَلمانيَّة والفرنسيَّة مَثلاً، لُغتان قَويَّتان تَتساوَيان في القوَّة، وبَينهما اختِلافات لُغويَّة كبيرَة"[13]، وتارةً أُخرى "تَرجحُ كفَّةُ أحدُ المُتنازَعين فَيتَصر على الآخر وتَحتلُّ مَناطِقَه"[14] وتُقلِقُ أَمنَه اللِّسانيّ.

1-1- الأَمن اللِّسانيّ داخِلِ المُجتمَعات :

أُثيرَت مَسألةُ الأَمن اللِّسانيّ في خِضمِّ تَزاحُم اللُّغات والتَّنوُّعات اللُّغويَّة، وتَهافُتها باحثةً عَن شرعيَّةٍ لِمتكلِّميها، وكان مِمَّن أثارَ هذا المَفهوم، السوسيولِسانيّ "وِليام لابوف"(W.LABOV) حِين وَصف التَّطبُّق الاجتِماعيّ للإنجليزيَّة في مَدينةِ نيويورك واختِلافِ الأَساليبِ الكلاميَّة وما يَتعلَّق بِدرجةِ الرَّسميَّة و اللارسميَّة في الخِطاب، وأَشارَ في حَديثِه إلى إنَّ مَظاهِر القَلَق اللِّسانيّ، مَبعثُه البُرجوازيَّة الصَّغيرَة[15].

ويَذكُر "مِيشال فرانكار"(M.FRANCARD)، أنَّ وضعيَّة القَلَق اللِّسانيّ، هي:" تَجلِّيات البَحث عَن شَرعيَّة لِسانيَّة، مَعيشَة لِفئةٍ اجتِماعيَّة مَغلوبَة، تُدرِك بِفطنةٍ في آنٍ معًا، الأَشكال اللِّسانيَّة الَّتي تُبتَ قُصورُها، والأَشكال اللِّسانيَّة المُراد اكتِسابُها لِلرُقيّ في السُّلم الاجتِماعيّ."[16]

ونَحا هذا النَّحو، "لويس جون كالفي" (L-J CALVET)، إذ يَذكر ما نصُّه :" نَتحدثُ عَن الأَمن اللِّسانيّ إذ، لأسبابٍ اجتِماعيَّة مُتنوعَة، لا يَشعر المُتكلِّمون بِالمُساءلَة بإزاءِ طَريقةِ تَكلُّمهِم وحينَ يَعدُّون مِعيارَهم(اللُّغوي) مِثل المِعيار(العامّ)، وعلى العَكس مِن ذلك، يَحصل القَلَقُ اللِّسانيّ حينَ يَعدُّ المُتكلِّمون طَريقَة تَكلُّمهِم أقلَّ قيمَةً فَيستبدِلونَهاِ بنموذجٍ آخرَ أكثرَ حُظوةً دونَ أن يَدرُج في كلامِهم."[17]

فَصراعُ اللُّغات واختِلال الأَمن اللِّسانيّ في المُجتمع، هو في حَقيقتِه، تَفاوتُ طبقاتِ المُجتمَع وحَساسِيَّة الجَماعات اللُّغويَّة حِيالَ اللُّغات والأَشكال اللُّغوية الأُخرى.

1-1-1- وضعيَّة القَلَق اللِّسانيّ في الثُّنائيَّة اللُّغويَّة :

الثُّنائيَّة اللُّغويَّة[18]، كَما تَردُ في بَعض المَعاجمِ اللِّسانيَّة، هي:" ظاهرةٌ لغويَّة تَعني استِعمال الفَرد أَو المُجتَمع في منطقةٍ مُعينةٍ لِلغتَين"[19]، وهي أنواعٌ تَختلفُ مِن النَّاحية الوَظيفيَّة بَين، الثُّنائية اللُّغويَّة على صَعيد الوَطن، الثُّنائية اللُّغويَّة الإقليميَّة، الثُّنائية اللُّغوية المُؤسسيَّة، الثُّنائية اللُّغويَّة المَدرسيَّة أو التَّربويَّة، الثُّنائية اللُّغوية المُؤسسيَّة المُؤقَّتة، تَبعًا لِظروفٍ ووَضعيَّات اللُّغات داخِل المُجتمَعات والسِّياسات اللُّسانيَّة المُقرَّرة في الدُّول، فَالعربيَّة اليَوم، تَعيش ثُنائيَّةً لغويَّةً وصِراعًا حَميُّ الوَطيسِ مَع لُغاتٍ وافدَة (انجليزيَّة و فرنسيَّة)[20] بِكل سَطوتِها الثَّقافية وسُلطتِها الاقتصاديَّة وهَيبتها الدُوليَّة؛ فاللُّغة " -بِوصفها ظاهِرة اجتِماعيَّة- لا تَعيشُ وَحدَها، بِل لا بدَّ مِن التَّبادل بَينها و بَين أَهلِيها أخذًا و عَطاء. و لا يَكونُ ذلِك بِخزنِ قواعِدِها وضوابِطِها في الذِّهن دونَ تَفعيلٍ لَها بِتوظيفِ مادَّتِها (وهي اللُّغة) نُطقًا، قَدرَ المُستطاع. ويأتي ذلك عَن طَريقِ القُدوَة. وفي مُقدِّمة هذهِ: البَيت ودُور التَّعليم، والمثقَّفون والمُتخصِّصون. ويأتِي على القمَّة مِن كلِّ ذلكَ المَسئولون وأَصحاب القَرار "[21]؛ وممَّا يَتداعى لَه هذا الخَطر في بيئتنا اللُّغويَّة العربيَّة، مَواضِع أَرى مَبعثُها مِن:

1- المُؤسَّسات التَّربويَّة والتَّعليميَّة المَعنيَّة بِالمراحلِ الأُولى لِتعليمِ وتلقينِ اللُّغة الوطنيَّة والرَّسميَّة الأُولى(العربيَّة)، فَهي أخطَر مرحلةٍ، لِما لَها مِن عِلاقةٍ في تَكوينِ المِخيال أَو التَّصوُّر اللِّسانيّ"[22] عَن اللُّغة الوطنيَّة لَدى المُتعلِّم، لذا فَهي تَستدعي مِن المُلقِّن مَعرفةً شاملةً بِاللُّغة بالقدرِ الَّذي يكونُ في ذِهن المُتلقي صُورَة مثاليَّة ومَهيبَة عَن لُغتِه، وهو عامِلٌ لَه" دورُه في المُحافظَة على سلامةِ الكَثير مِن اللُّغات وبَقائِها "[23].

2- مُؤسسات التَّعليم العاليّ، وهي مَرحلةٌ مُرتبطةٌ بِالأولى، فَتلقينُ العلومِ والمَعارفِ لِلمتعلِّم يَرتكزُ على نَوعيَّة تكوين المُلقِّن في شتى العُلوم المُستحدثة بلغةٍ علميَّةٍ قَمينةٍ بِحملِ المَفاهيم الوافدَة، وممَّا تَجدرُ الإشارَةُ إليهِما نَلمسهُ مِن انحِسارِ العربيَّة واقتِصارِها في التَّعليم على أَقسام العلومِ الإنسانيَّة والاجتِماعيَّة وسَيطرَة اللُّغة الأَجنبيَّة على باقِي الأقسام العِلميَّة والتِقنية، بَل أنَّ أَقسامَ العلوم الإنسانية والاجتِماعيَّة، قَد تَشكو في كَثيرٍ مِن الأَحيان تَضعضُعًا في مُستوى العَربيَّة؛ وهَذا يَجعَلنا نَتخبطُ في وضعيَّة الثنائيَّة اللُّغويَّة غَير مُتكافئَة، وإن لَم أَقُل سَيُحيلنا الأَمر إلى ازدِواجيَّةٍ لغويَّةٍ (ديغلوسيا)[24]؛ فَالعربية "في المُحيط التَّعليميّ لِهؤلاءِ الطَّلبة تَعيش في صراعٍ مريرٍ دائمٍ مع اللُّغة الأجنبيَّة، لُغة التَّعليم المَفروضَة، وتُعاني مِن تَداخلٍ بغيضٍ مُتواصلٍ مَع هذه اللُّغة، وهَذا ما يَزيد الموقفَ سوءًا وخطرًا ويُبرِّر الخوفَ على مُستقبلِ لُغةِ هُؤلاءِ الطَّلبة ولُغةِ المُجتمعِ الَّذي سَيعملونَ فِيه"[25] وربَّما أدَّت بعضُ حالاتِ التَّعليم باللُّغة المُهجَّنة (خَليط بَين العربيَّة والفرنسيَّة أَو الانجليزيَّة) إلى مسخٍ لغويٍّ لايُدرك الطلبة مَعه حُدود العربيَّة مع اللُّغة الأجنبيَّة في نَواحي صَوتِها وصرفِها ونَحوها، ما يُثير حالةَ خطرٍ على أَمنهِم اللِّسانيّ والمَعرفيّ.

3- العربيَّة في أَجهزةِ الإِعلام و الاتِّصال المَسموعَة والمرئيَّة والمَقروءَة، وما تَنضح بِه من مُستوًى عاجزٍ عَن الإبلاغ أحيانًا، يَجعل حُدوثَ ظواهِر التَّحوُّل اللُّغويّ مِن العربيَّة نَحو الفرنسيَّة أَو نَحو الهَجين اللُّغويّ، قائمًا.

4- كِتابةُ لافتاتِ المَحلاَّت التِّجاريَّة وأسماءِ الشَّوارعِ والفَنادق والمُؤسَّسات الاقتصاديَّة والصِّناعيَّة العامَّة أو الخاصَّة، فَالكَثيرُ مِنها، يَتمُّ تَدوينها باللُّغات الأجنبيَّة دونَ أَن تكونَ هناك ضوابطُ تحكمُ هذا الاستِخدام.

5- عُقود وطَلبات العَمل وجَميع التَّعاملات مَع المُؤسَّسات الخاصَّة والأجنبيَّة وحتَّى العموميَّة، يَجري فيها التَّعامل والتَّخاطبُ باللُّغات الأجنبيَّة بِحجَّةِ أنَّ اللُّغة العربيَّة قاصرةٌ في ذَاتِها، ولا تَستطيعُ الإيفاءَ بِمثل هَذه المُتطلَّبات العَصريَّة.

6- تَغليب اللُّغات الأَجنبيَّة في العَديدِ مِن المُلتقياتِ والمَحافِل الوطنيَّة والدُّوليَّة الَّتي يَرى القائِمون عَليها بأنَّ العربيَّة تَفتقرُ إلى المُفردات وتَفتقِد الصِّبغةَ العلميَّة في صيغِها وتعابيرها.

7- إنجازُ المُذكِّرات والأَطروحات الجامعيَّة المُحرَّرة باللُّغات الأجنبيَّة وعدمُ إتباعِها بِملخصاتٍ باللُّغة العربيَّة.

8- نَسخُ التَّعابير[26] ومُحاكاتُها لِنظيراتِها الأجنبيَّة دونَ مراعاةٍ لِخصوصيَّة العربيَّة، و تَكثرُ هَذه الظَّاهرَة في اللُّغات التَّواصليَّة الصِحافيَّة وشَبكات الاتِّصال(المَعلوماتيَّة والهواتِف المَحمولَة)، و الظَّاهرُ فيها، سُرعة نَقل هذِه التَّعابير دونَما تَروّ، التَّركيز على اللُّغة المَنقول مِنها، يُفقدها في كَثيرٍ مِن الأَحيان، خُصوصيَّتها و دِقتها في التَّعبير.

9- العَربيَّة في الهَيئات الدُّوليَّة ومكاتِب الأُمم المُتَّحدة، وأَنا لا أَرى صِراعَها مَع الانجليزيَّة والفرنسيَّة ولغاتٍ الأُخرى بِأقل خطرًا و أمنًا مِن بيئتِها وأرضها مَع أَهلِها، فَتغليبُ استِعمالِ الانجليزيَّة لِما لَها مِن وزنٍ دُوليٍّ و لكونِها لُغة التَّعامل[27] الاقتصاديّ والتَّبادلات التِّجارية، قَد أضعفَ شوكَة العربيَّة وحدَّ مِن استخدامِها، و ربَّما سيفتحُ الباب أَمامَ المدّ المُتنامي لِلغات التَّعامل داخلَ البيئة العربيَّة.

1-1-2- وضعيَّة القَلَق اللِّسانيّ في الازدِواجيَّة اللُّغويَّة:

تَعني ظاهرةُ الازدِواجيَّة اللُّغوية[28]، "وُجودَ أكثر مِن مُستويَين لِلغة، جنبًا إلى جَنب في مجتمعٍ مِن المُجتمَعات بِحيث يُستخدَم كلُّ مُستوى مِن مُستوَيات اللُّغة في أغراضٍ مُعيَّنة"[29]، فالمُستوى الفَصيح المِعياري (الصِّنف العالِي أو الراقِي)، مُرتبطٌ بِالمقامات الرَّسميَّة، كالتَّعليم والإدارَة والخُطب الدينيَّة، أمَّا المُستوى العامِيّ غَير المِعياري (الأقلُّ مرتبةً)، فَمرتبطٌ بِمواقف الحَياة اليَوميَّة العاديَّة، في المَنزِل مَع الأَهل والأَصدِقاء، في الأَسواق؛ والأفرادُ " مَدفوعونَ إلى التَّداوُل بِلسانَين بِحكم كَونِهم مُنتمين بِأشكالٍ مُختلفةٍ إلى جَماعَتين في قَلبِ المُجتمعِ الواحدِ"[30] إلاَّ أنَّ نَظرةَ الجماعَة اللُّغويَّة إلى هَذين المُستويَين تَبقى نَظرةَ مُفاضلَة.

وقَد يَحدثُ أن لا يكونَ بَين المُستويَين أيَّة عِلاقة، " فَفي باراغواي التَّنوع الأَرفعُ مكانةً هو الاسبانيَّة، أمَّا الأدنى فَهو الجوارانيَّة، وهي هِندية لَيس بَينها وبَين الاسبانيَّة أيَّة صلةٍ "[31]، فاتِّخاذ الجماعاتِ اللُّغويَّة أحكامًا قَيميةً بإزاءِ المستويَين، يَخضعُ لعواملَ سوسيوثقافيَّة (facteurs socioculturels)، نحو الحَظوَة ومَكانةِ الفِئات اجتماعيًّا والمُستخدِمة لِهذا المُستوى اللُّغويّ.

و الحالَة الباعِثةُ على الخَطر الَّذي يُتهدِّد أَمنَ العربيَّة اللِّسانيّ في الازدِواجيَّة، ما نَلمسه مِن ظواهِر التَّداخلات والتَّحولات اللُّغويَّة[32]، إنْ بَين العربيَّة واللُّغة الأجنبيَّة (الفرنسيَّة-الانجليزيَّة)، أو ما بَينها وبَين العاميَّة (المُستوى الأَدنى مرتبةً)، وأَحسبُ إنَّ هذا التَّداخُل لِلعديد مِن العناصِر اللُّغويَّة، (الصَّوتيَّة والصَّرفيَّة والدِّلاليَّة) و التَّحول في أثناءِ الحَديث مِن العَربية إلى لُغةٍ أو مُستوى آخر وما يَعتورُ نِظام العربيَّة مِن الضَّيم والبَلبلة، هو في حقيقتِه ذَلك التَّفاوت الَّذي تُقيمه الجَماعة اللُّغويَّة العربيَّة بإزاءِ اللُّغات الأجنبيَّة أَمام مَواقف مُعيَّنة رغبةً في الحُظوة الاجتِماعيَّة، أو تَداركٍ لِعجزٍ قَد يبدو في لُغةِ الأُمومَة (la langue maternelle)[33].

إنَّ السؤالَ الأكثرَ خطورةً في السِّياقات اللُّغوية العَربيَّة وبيئتِها السوسيولسانيَّة، يَتبدى لَنا في شَكلهِ الآتِي: **هَل العربيَّة اليَوم – في تَواجدِ اللُّغات الأجنبيَّة (فرنسيَّة وانجليزيَّة) مَعها- أمام وضعيَّة الثُّنائيَّة اللُّغويَّة أم الازدِواجيَّة اللُّغويَّة ؟.**

و في اعتِقادي أنَّنا أمامَ حالَة، يُمكِن تَصوُّرها في هَذا الشَّكل:

حالَة الانتِقال مِن الثُّنائيَّة اللُّغويَّة إلى الازدِواجيَّة اللُّغويَّة (اختِلال الأمن اللِّسانيّ)

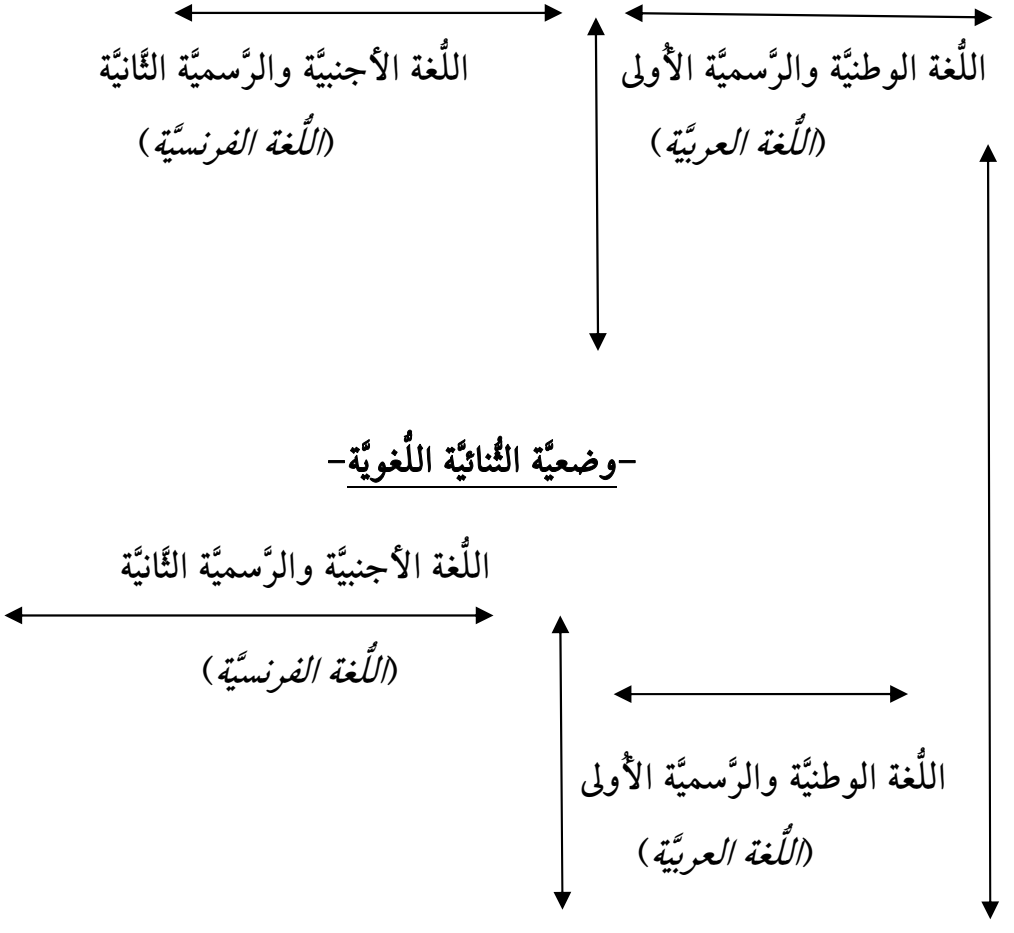

- وضعيَّة الازدواجيَّة اللُّغويَّة -

وأَختِم هَذه الوَقفة بإبداءِ مجموعةٍ من المُقترحات، أَحسب أَنها ممَّا يَتعلق بأمنِ هَذه اللُّغة الشَّريفَة وما يَعتور سَبيل رُقيِّها وتَمكُّنها، وهي على نَحو التَّالي:

أَوَّلا: العِناية باللُّغة العربيَّة في الأَطوارِ الأُولى مِن تَعليمِها لِلمبتدِئين، والحِرصُ على اجتِنابِ الأَخطاءِ نطقًا وإملاءً، ونحوًا، واستِعمالُها في المُحيط التَّعليميّ والتَّربويّ لِتألفَها الآذانُ وتَترسَّخ تطبُّعًا في الأَذهان.

ثانيًا: مُواصلَة الجُهود المَبذولَة في تَعريبِ ما أَمكنَ مِن التَّخصصات في التَّعليم العالِيّ، والبَحث عَن لُغةٍ عربيَّةٍ عِلميَّةٍ، تَرتكِز على المُصطلحِ الدَّقيق والمُناسب لِنظيرِهِ الأجنبيّ، حتَّى يتمَّ التَّواصل بِها، في مُختلفِ التَّخصُّصات، و لا بُدَّ هَهنا مِن دَعم العَمل المَجمعِيّ، و الاستِفادة مِن تَجاربِ التَّعريب في البُلدان العربيَّة، ومَنح المَجامِع اللُّغوية، السُّلطة السِّياسية و العِلميَّة.

ثالثًا: إعدادُ الصِّحافيِّين وتَكوينهم على استِعمال لُغة عَربيَّة سليمَة وصَحيحَة، والتَّرفُّع عَن الأَساليب الرَّكيكَة والعاميَّة الهَجينَة.

رابعًا: تَعريب لافِتات المَحلاَّت التجاريَّة، وأَسماء الشَّوارع والفَنادق والمُؤسَّسات الاقتِصاديَّة والتجاريَّة، العامَّة والخاصَّة، وإن اقتَضى الأَمر كِتابتَها بِاللُّغتَين، فَمن الجَدير بالذِّكر كتابتُها بِالحرفِ العَربيّ (مِن الحَجم الكَبير)، و تَعقبُها الكِتابة بِالحرفِ اللاَّتيني الأَقل حجمًا.

خامسًا: مُراقبة النُّعوت والأَسماء الَّتي يتمُّ إطلاقُها على المُنتجات الصِّناعيَّة و السِلع الاستِهلاكيَّة، و فَرضُ ضوابطَ تحكمُها.

سادسًا: تَغليب استِعمال العربيَّة في مؤسَّسات الدَّولة، كالمَحاكم ودُور القَضاء، والمُكاتَبات أو المُراسَلات الحُكوميَّة والإداريَّة، وإن اقتَضت الظُّروف استِحداث وَظيفَة المُرشد أو المُدقِّق اللُّغويّ في مِثل هَذه المُستويات الحسَّاسَة.

سابعًا: إعدادُ برامجَ وأنظمةٍ لغويةٍ حاسوبيَّة عَربيَّة، تَتضافَر فيها الجُهود والمَشاريع لِتحليل اللُّغة ومُعالجتُها، واعتِماد التَّرجمَة الحاسوبيَّة في نَقل جَميع الأَعمال العلميَّة والأدبيَّة مِن اللُّغات الأُخرى.

ثامنًا: التَّشريع اللِّسانِيّ (la législation linguistique)، وهَهنا يَتعلَّق الأَمرُ بِسنِّ قَوانينَ ومَراسيمَ، تُنظِّم استِخدام اللُّغة في جَميعِ الأَماكِن وتحرصُ على حِمايتِها.

الإحالات:

1- ينظر: ابن جني، الخصائص، ج1، ص 33.

2- ينظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة و أنواعها، ج01، ص 36.

3- voir: SAUSSURE, cours de linguistique générale, p22.

4- ينظر: السعران، علم اللغة، مقدِّمة للقارئ العربيّ، ص 244.

5- ينظر: فندريس، اللُّغة، ص 35.

6- ينظر: حجازي، علم اللُّغة العربيَّة، مَدخل تاريخيّ في ضوءِ التُّراث و اللُّغات السامِية، ص 51.

7- نَفسه، الصَّفحة نَفسها.

8- ينظر: السعران، اللُّغة و المُجتمع رأيٌ و مَنهج، ص 29.

9- ينظر: الخولي، معجم علم اللغة النظري، ص 261.

10- يعني هذا المصطلح، اللُّغة الَّتي ينصُّ عليها دُستور الدَّولة أو الجماعة اللُّغويَّة و تَستعمل هذه اللُّغة على المستوى الرَّسميّ في المُكاتبات و الوثائق، و قَد تكون هذه اللُّغة الرَّسميَّة في نفسِ

الوَقت اللُّغة الوطنيَّة "، ينظر: حنا، و آخرون، مُعجم اللِّسانيَّات الحديثة، ص 96. و قَد نصَّ الدستور الجزائريّ على كَونِ " اللُّغة العربيَّة هي اللُّغة الوطنيَّة و الرَّسميَّة "، ينظر: دستور 28 نوفمبر 1996، الباب الأوَّل، المادَّة 03، ص 05.

11- voir: BOUTON, la linguistique appliquée, p 44.

12- ينظر: حجازي، علم اللُّغة العربيَّة، ص 19.

13- ينظر: عبد التواب، المدخل إلى علمِ اللُّغة و مناهجِ البحث اللغويّ، ص 171.

14- ينظر: وافي، علم اللُّغة، ص 208.

15- voir: LABOV, sociolinguistique, p 94.

16-voir: FRANCARD, «insécurité linguistique », pp 171-172.

17-voir: CALVET, la sociolinguistique, p50.

18- لِلجاحظِ (ت255هـ) إشارات لحالة الثنائيَّة اللُّغويَّة، فقد ذكر:" ومَتى وَجدناهُ تكلَّم بِلسانين عَلمنا أنَّه قَد أدخلَ الضَّيم عليهِما، لأنَّ كلَّ واحدٍ مِن اللُّغتين تَجذِب الأُخرى و تأخذُ مِنها و تعترضُ عَليها.."، ينظر: الجاحظ، الحيوان،ج2، ص 443.

19- ينظر: حنا، سامي، معجم اللِّسانيَّات الحديثة، ص 13.

20- تختلف وضعيَّة العربيَّة حديثًا – وهي سليلةُ اللُّغة السَّامية الأمّ- عن الانجليزيَّة –وهي جرمانيَّة هنديَّة أوروبيَّة- والفرنسيَّة –وهي لاتينيَّة هنديَّة أوروبيَّة- مَع وَضعيتها في عُصورِها الأولى مَع الفارسيَّة، فالإنجليزية والفرنسيَّة قَد أُدخِلت دِيارها عُنوةً و قَهرًا ما أدَّى إلى تَحجُّرها و انحسارِها بسببِ سياسةِ المُحتلّ اللِّسانيَّة، فَصارت الانجليزيَّة والفرنسيَّة اليَوم، امتِدادًا غَير مُتكافِئ لهذِه الثُّنائيَّات اللُّغويَّة، ولعلَّ ما غلَّب هَذا الرُّجحان، نشأةُ البرجوازيَّة الصغيرَة داخلَ المُجتمعات العربيَّة ومواقفُها المُستميلة نَحو سمتِ اللُّغات الوافِدة.

21- ينظر: بشر، التَّفكير اللُّغويّ بينَ القَديم و الحَديث، ص 507 و 508.

22- المِخيال اللِّسانيّ (l'imaginaire linguistique)، يمثِّل مجموع الأفكار الَّتي تَتكوَّن في ذِهنِ المُتعلِّم عَن لُغته.

23- ينظر: رمضان، المدخل إلى علم اللُّغة و مناهِج البحث اللُّغويّ، ص 172.

24- يبدو من وَضعيَّة الازدِواجيَّة اللُّغويَّة، خطرٌ على أمنِ اللُّغة العربيَّة، ذلك أن الجماعات اللُّغويَّة، تَقف من العربيَّة واللُّغة الأجنبيَّة – وفي كثيرٍ من المواقف- مَوقف الدَّاني من العالي، وهذه الدونيَّة بإزاءِ العربيَّة، مردُّها عدمُ كفاءتِها وجدارتِها وجَدواها في أعيُنِ أهلِها لِلتَّعبير عَن العلوم و التِّقنيات في هذا العصر.

25- ينظر: المعتوق، الحصيلة اللغوية، أهميتها- مصادرها- وسائل تنميتها، ص 08.

26- يُصطلح عليه بالمُحاكاة اللُّغويَّة أو التَّرجمة الحرفيَّة، و هو أحد مظاهِر التَّداخل اللُّغويّ، و المقصود مِنه، نقل الكلمات أو التَّعابير مِن لغاتٍ أخرى نَقلاً حرفيًّا.

27- لغة التعامُل أو ما يُصطلح عليه "lingua franca"، هي لغةٌ تُستخدم عادةً عند أقوامٍ تَختلف لغاتُهم الأمّ تيسيرًا للاتِّصال بينهم "، ينظر: حجازي، اللُّغة العربيَّة في العصرِ الحَديث، قَضايا ومُشكلات، ص 147.

28- و هي ما يُصطلح عليها بـ: la diglossie، يُستعملُ في السوسيولسانيَّات لِوصفِ الوَضعيَّات اللِّسانيَّة والظَّواهِر التَّماس اللُّغويّ (contacts de langues)، و قَد أخذَت جانِبًا مُستفيضًا مِن دَرسِ اللِّسانيّ الأمريكيّ "تشارلز فرغيسون" (Charles FERGUSON).

29- ينظر: حنا، معجم اللِّسانيَّات الحديثة، ص 39.

30- ينظر: مرتاض، مُقاربات أوليَّة في عِلم اللَّهجات، ص136.

31- ينظر: السيد، علم اللُّغة الاجتماعيّ، مفهومُه و قَضاياه، ص 150.

32- يُعرف مصطلح التَّداخل اللُّغويّ (l'interférence)، على أنَّه تأثير اللَّغة الأمّ في اللُّغة الَّتي يتعلَّمها المرء، أو ابدال عُنصرٍ من عَناصر اللُّغة الأمّ بعنصر من اللُّغة الثَّانية "، أمَّا مصطلح التَّحول اللُّغويّ (l'alternance codique)، فهو " تحوُّل الفرد في أثناءِ الكلام مِن لغةٍ الى أُخرى أو من اللُّغة الفَصيحة الى اللُّغة العاميَّة أو بالعَكس "، ينظر: القاسمي، التَّداخل اللُّغويّ و التَّحوُّل اللُّغويّ، ص 45 و 50.

33- تحدثُ مثل هذِه الظواهر في السِّياقات الحضريَّة و هي أكثرُ ورودًا عند فئةِ الإناثِ من الذُّكور.

المَصادِر و المَراجِع:

أ- بالعربيَّة:

1- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج1، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب القاهرة، 1962م.
2- بشر، كمال محمَّد، التَّفكير اللُّغويّ بينَ القَديم و الحَديث، دار غَريب، القاهرة، 2005م.
3- الجاحظ، أبوعمروعثمان،الحيوان،ج2، تحقيق عبد السلام هارون طبعة القاهرة، 1938-1945م.
4- حجازي، محمود فهمي، علم اللُّغة العربية، مدخل تاريخي في ضوء التراث و اللغات السامية، مكتبة غريب، القاهرة، د.ت.
5- _____، اللُّغة العربيَّة في العصرِ الحَديث، قَضايا ومُشكلات، عبده غريب، القاهرة، د.ت.
6- حنا، سامي و آخرون، مُعجم اللِّسانيَّات الحَديثة، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان،1997م.
7- الخولي، محمد عليّ، مُعجم علم اللُّغة النَّظريّ، مكتبة لبنان، 1982م.
8- السعران، محمود، علم اللُّغة، مقدِّمة للقارئ العربيّ، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م.
9- _____، اللُّغة والمُجتمع رأيٌ ومَنهج، ط 02 مزيدة ومُنقَّحة، الإسكندرية، 1963م.
10- السيد، صبري إبراهيم، علم اللُّغة الاجتماعي، مفهومُه و قَضاياه، دار المعرفة الجامعيَّة، القاهرة، 1995م.
11- السيوطي، عَبد الرحمان جَلال الدِّين، المُزهر في علومِ اللُّغة و أنواعِها، ج01، تحقيق محمَّد أحمد المولى وآخرين، عيسى الحلبي، القاهرة، د.ت.
12- عبد التَّواب، رمضان، المَدخل إلى علمِ اللُّغة و مناهجِ البحث اللُّغويّ، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1982م.
13- فندريس، جوزيف، اللُّغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1985م.
14- القاسمي، محمد عليّ، التَّداخل اللُّغويّ و التَّحوُّل اللُّغويّ، مجلة الفيصل، الدار العربيَّة للطباعة و النشر، العدد 324، السعودية، 1424هـ/ 2003م.

15- مرتاض، عبد الجليل(أ.د)، مُقاربات أوليَّة في عِلم اللَّهجات، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر، 2002م.
16- المعتوق، أحمد محمَّد، الحَصيلة اللُّغوية، أهمِّيتها- مصادرُها- وسائل تنميتها، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد212، الكويت، 1996م.
17- وافي، عليّ عَبد الواحد، عِلم اللُّغة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1957م.
18- وزارة العَدل، دُستور 28 نوفمبر 1996، الدِّيوان الوطنيّ لِلأشغال التَّربويَّة، الجزائر، 1998م.

ب- بالأعجميَّة:

1- BOUTON Charles, la linguistique appliquée, P.U.F, «Que sais- je ?», 1979.
2- CALVET louis-jean, la sociolinguistique, P.U.F, «Que sais-je?» 2009.
3- FRANCARD Michel, «insécurité linguistique », in M.L. Moreau, sociolinguistique concepts de base, Mardaga, Paris, 1997.
4- LABOV William, sociolinguistique, traduction française, Alain khim, les éditions de minuit, Paris, 1976.

5- SAUSSURE Ferdinand de, cours de linguistique générale, édition Talantikit, Béjaia, 2002.